

إما إلى الجاهلية وإما إلى الإسلام ، لا يقره تراثنا الأدبي الذي سائر الحياة وعبر عنها في مرحلة واجهت أجل وأخطر حادث في تاريخ العرب .

ولا تبدأ الحضرة عندنا بظهور الإسلام، بل نمضي بها من أخريات الجاهلية إلى قبيل النصف الثاني من القرن الأول للهجرة : ملتصين فيها ما يؤكد أن الشعر العربي كان مع الحياة ، ومستخلصين له قيمة جديدة تنفي أنه كان بمعزل عن الأحداث الكبار ، أو أنه انبت فجأة من ماضيه الطويل . . .

* * *

وماذا وراء هذا الفهم المحرر لأدب الحضرة ؟

وراءه أن نستريح من هذا التناقض الحاد ، بين رأى من ذهبوا إلى أن الإسلام بتر الشعراء من ماضيهم ، ورأى من قالوا إن الأدب العربي ظل جاهلياً في صدر الإسلام . ومن ثم ندرك أن الأدب لم يكن قط ، ولن يكون أبداً ، بمعزل عن الحياة . .

ورواه ألا نصدم أبناءنا الطلاب بأقوال مضطربة متناقضة ، يدفع بعضها بعضاً ويرد بعضها على بعض ، ففي الكتاب الرسمي الذي كان مقرراً على طلاب الصف الأول من مدارسنا الثانوية ، يقرأ أبنائنا في الفصل الأول الخاص بالعصر الجاهلي ، حديثاً حماسياً عن فضائل للعرب في قديمهم سجلها الشعر الجاهلي ، الذي عكس صورة من حياتهم في الصحراء « التي تصقل النفوس وتصهر الطباع وتربي في القلوب حب الاستقلال وتغرس في النفس خلالاً أظهرها : الشجاعة ، والكرم ، وإيواء الضيف ، والوفاء بالعهد ، والدود عن الحمى ، وإغاثة الملهوف ، وحماية البحار ؛ والعربي كذلك مرهف الحس لا يقيم على الضيم ولا يرضى بالذل ويعتز بشخصيته » (١) .

وتختم الكلام عن الجاهلية بنصوص تسجل « تقاليد العرب واعتزازهم بما لهم من شجاعة وكرم وإباء وشمم » (٢) .

(٢٤١) انظر كتاب الأدب والنصوص ، للسنة الأولى الثانوية ؛ ص ٣ : ٢ ط وزارة التربية والتعليم

بمصر - ١٩٥٨ . وقد عدل بعد ذلك .